وَعْدُ الْآخِرَةِ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيْمِ
"قِرَاءَةٌ فِيْ ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ عِلْمِ لُغَةِ النّصّ"

Promise of the Hereafter in the Qur'an : A Linguistic Analysis

أ.م.د. مجيب سعد أبو كطيفة

Assit.Prof.Dr. Mujeeb Sa'ad Abu Kteefah

العراق / جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.

Iraq / University of Karbala / College of Islamic Sciences

mugeebsaad@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

في هذا العمل محاولة للبحث عن الأصل المعجمي للفظتي «وعد» و«آخر» إذ إنَّ المعجم يُصرِّح بأنَّ "آخر" الشيء لا ينفصل عنه، فكل شيءٍ له أول لا بُدَّ أن يكون له آخر.

من هنا ظهر سؤال حاول البحث أن يجد جواباً له وهو إذا كان كل شيء له أول وآخر في العالم نفسه فكيف نصف يوم القيامة بالآخرة وهو عالم يختلف عن عالم الدنيا؟ ثُمَّ إنَّ الحياة بعد يوم القيامة تكون منفصلة كَمّاً ونوعاً عن الحياة الدنيا فقد تخللها موت عام، وتبديل للأرضِ، والسماءِ، فهل يصح أن نطلق على الدنيا اسم أولى وعلى يوم القيامة اسم آخرة مع أنها حياة لا تكليف فيها، ولا معاناة إذا كانوا من أصحاب الجنة، ولا راحة فيها بالنسبة لأصحاب جهنم؟

ومما لا نقاش فيه أن يوم القيامة يختلف عن الحياة على الأرض في حين إنَّ حياة الآخرة يجب أنْ تكون غير منفصلة عن الحياة الأولى ومستمرة معها.

كل هذا دفع البحث إلى الذهاب إلى دلالة أخرى للفظتي «وعد» و«آخرة» قد تغاير ما توافق عليه كثير من المفسرين، هذا ما ستجسده سطور هذا البحث الذي جاء في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الوعد ، وعد الأولى، وعد الآخرة، الحياة الدنيا، يوم القيامة.

Abstract :

This work attempts to search for the lexical origin of the two words "promise" and "last", as the dictionary states that the "last" of a thing is inseparable from it, so everything that has a beginning must have an end.

From here a question emerged that the research tried to find an answer to, which is if everything has a beginning and an end in the same world, then how do we describe the Day of Resurrection as the Hereafter, which is a world different from the world of this world? Moreover, life after the Day of Resurrection is separate in quantity and quality from the worldly life, as it has been interspersed with general death, and the change of the earth and the sky. Is it correct to call the world the first and the Day of Resurrection the Hereafter, even though it is a life in which there is no obligation or suffering if they are from the people of Paradise, and there is no comfort in it for the people of Hell?

It is indisputable that the Day of Resurrection is different from life on earth, while the life of the Hereafter must not be

separate from the first life and continue with it.

All this led the research to go to another meaning for the words “promise” and “hereafter” that may differ from what many interpreters agree upon. This is what the lines of this research will embody, which came in an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion.

Keywords: The promise, the promise of the first, the promise of the afterlife, the life of this world, the Day of Resurrection.

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطّاهرين واللّعن الدّائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدّين.. وبعد:

من ضروريّات الدّين الإيمان بالآخرة، وبكلّ ما يتعلّق بها من وعدٍ، وأحداثٍ، وحسابٍ وعقابٍ وأوامرَ وزواجرَ وهلمّ جرًّا. ولكن يتبادر سؤال جوهريّ في هذا المجال؛ وهو: هل المقصود بالآخرة هو يوم القيامة؟! أو هي الحياة الثّانية الّتي تلي الحياة الأولى؟!!!

إنَّ المعجم يُصرِّح بأنَّ "آخر" الشّيء لا ينفصل عنه، فكل شيءٍ له أوّل لا بُدَّ أنْ يكونَ له آخر. ثُمَّ إنَّ الحياة بعد يوم القيامة تكون منفصلة كَمًّا ونوعًا عن الحياة الدّنيا؛ فقد تخلّلها موت عامّ، وتبديل للأرضِ، والسّماءِ؛ قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾»الحاقّة:١٤"، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ «الأنبياء:١٠٤» .

ثُمَّ إنّها حياة لا تكليف فيها، ولا معاناة إذا كانوا من أصحاب الجنّة، ولا راحة فيها في ما يخصّ أصحاب جهنّم؛ فهي تختلف عن الحياة على الأرض؛ على حين أنَّ حياة الآخرة يجب أنْ تكونَ غير منفصلة عن الحياة الأولى ومستمرّة معها.

وأنَّ موضوع الوعد الإلهيّ هو موضوع في غاية الأهمّيّة، وقد ذكرته الآيات الكريمة والأحاديث النّبويّة المباركة بالتّفصيل، وبيَّنت أنّه الوعد الّذي سيقع في الحياة الدّنيا، وأنّه سيتحقّق في مستقبل هذه الأرض، وأنّه الوعد الّذي كان معاصرو النّبيّ صلّى الله عليه وآله يسألون عنه كلّما حدّثهم عمّا سيفعله صاحب الزّمان عجّل الله فرجه في مستقبل هذه الأرض من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ «النّمل:٧٢»، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ «الملك:٢٦».

كلّ هذا دفع البحث إلى الذّهاب إلى دلالة أخرى للفظتَي «وعد» و«آخرة» قد تغاير ما توافق عليه كثير من المفسّرين، وهذا ما سيظهر في طيّات هذا البحث.

المهاد التّنظيريّ لأساس البحث:

لا جرم أنّ المفردة الأدبيّة تنماز عن المفردة المعجميّة في كون المفردة «في الأدب تلبس لبوسًا فريدًا مع شحنة روحيّة، ممّا يجعلها تتجاوز كونها أصوات مادّة معجميّة وهي ترسم وتشخّص وتجسّم حالة شعوريّة، فتشعّ دلالتها الإشاريّة الضّيّقة وتحمل دلالة أخرى في حالة الاتّساع»[١].

وهذا ما يُبدي ملامح الفرق بين المفردة المعجميّة والمفردة الأدبيّة؛ إذ «الكلمة في الفكر الأسلوبيّ والتّقليديّ لا تعرف إلّا ذاته؛ أيْ: سياقها هي وموضوعها هي وتعبيراتها المباشرة ولغتها الواحدة الوحيدة، أمّا الكلمة الأخرى الموجودة خارج سياقها فلا تعرفها إلّا بوصفها كلمة محايدة من كلمات اللّغة؛ إلّا كلمة لا تخُصُّ أحدًا إلا مجرّد إمكانية كلامية»[٢].

فالأديب يرى أنَّ المفردة «كائن حيّ ودلالة حيوية تقوم بوظيفة نقل المشاعر في صيغ مغايرة للاستعمال المعهود، ولا تنتهي غايتها عند صياغة الفكرة فقط بل عند بثّ الرّوح في حنايا الكلمات فتغدو بدائل عنها»[٣]، يقول جون برتيليمي مشيدًا برفعة الكتابة الأدبيّة: «في الوقت الذي يهتمّ فيه الفيلسوف بالحقائق والأفكار فحسب ويقف في ما وراء الألفاظ، يقف الشّاعر فيما قبلها؛ لأنّها ليست بالنّسبة إليه علامات فحسب بل هي كذلك - وقبل كلّ شيء – كائنات يُنْظر إليها، ويفحصها ويتأمّل فيها ويعجب كما يعجب الإنسان بحصاة أو بحشرة أو بطير ما»[٤].

فالكلمات تترك ساحة دلالتها اللّغويّة عندما تكون في الأدب، وإذا كنّا إزاء دراستها في القرآن الكريم؛ فهل ينطبق هذا الرّأي عليها؟

يجيب "أحمد ياسوف" عن هذا الاستفهام بقوله: «تتجلّى ميزة القرآن، فهو كتاب هداية وعلم، وليس يقصد الفنّ الأدبيّ وحده فيه .... وهو كتاب علم وعقيدة وتشريع سماويّ ومواعظ وأخبار وعلى الرّغم من هذا لم تؤثّر فيه علميّته في أنْ يبقى منهلًا بلاغيًّا ونصًّا أدبيًّا راقيًا»[٥].

وهذا ما سنقف عليه في تحليلنا للفظتي «وعد»، و «آخرة» اللتين تنهازان بثنائية الشّكل والمضمون؛ إذ تجد أنَّ هذا التّلاؤم المنسجم بين الطّرفين ينبع من النّصّ نفسه، وتنطلق الأحكام عبر جوّ المفردة في خضمّ المفردات وهي تصافح حاسّة السّمع قبل أنْ تطرقَ باب المشاعر، أيْ: ترجمتها في سجلّ الوعي؛ ذلك لأنّها صوت أوّلًا ومعنى في المنزلة الثّانية.

وتمثّل هذه الدّراسة محاولة لمواكبة تطوّرات علم اللّغة الحديث، والولوج فيها لتعرُّفها، وتطبيق ما يتناسب منها مع لغتنا العربيّة.

إذ يصدر هذا العمل عن افتراض نظريّ؛ مفاده أنَّ إمعان النّظر في الآيات التي ورد فيها ذكر اللفظتين تكشف عن مجموعة من الألفاظ جرى التوافق على دلالتها على ما سيحدث بعد موت الخلائق وانتهاء زمن التكليف، وإنَّ هاتين اللفظتين قد

اكتسبتا دلالاتهما القطعيّة على يوم القيامة، وما يرافقه من أحداثٍ ومشاهدَ عند سائر علماء المسلمين.

فوجد البحث بعد كثرة التّدبّر والمتابعة أنَّ الّذي جرى التعامل معه على أنَّه ثابت ما زال فيه شيء يمكن أنْ يقال بل لعلَّ الأمر -كما سيظهر في طيات هذا البحث- مغاير لما تعاهد عليه أكثر المفسّرين، واللّغويّين.

إذ وجد البحث أنَّ هناك كثيرًا من هذه الألفاظ تصف الأحداث الّتي سوف تقع في هذه الحياة الدّنيا وتسبق يوم القيامة بزمن طويل، ولا علاقة لها بموت الخلائق وانتهاء زمن التّكليف، وهي أحداث دنيويّة، وليست ممّا يقترن بقيام القيامة أو علاماتها.

قد تحقّق للبحث هذا القول بنقد منهجيّ رأى البحث السّير عليه؛ وهو محاولة الكشف عن الوجه الّذي اعتمد عليه المفسّرون في القول إنَّ هذا اللّفظ متعلّق بيوم القيامة لا بغيره؛ فعمد إلى نقده وبيان وجه ضعفه؛ مستنيرًا بالمعايير النّصّيّة الّتي نَظَّرَ لها "دي بوجراند" والقرائن السّياقيّة في هذا الصّدد؛ آخذًا بقرائنَ أخرى خارج المدوّنة القرآنيّة؛ كالأحاديث النّبويّة الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام لا بكونها محدّدًا للاحتمال الدّلاليّ للألفاظ المدروسة بل لكونها معضّدة له.

المبحث الأوّل: الدّلالة المعجميّة للمركّب الإضافيّ "وعد الآخرة"

يَتألّفُ المركّب "وعد الآخرة" مِن لَفْظَين يُمثِّلُ كُلُّ لَفْظٍ مِنْهُما رَكِيزَةً مِن الرّكَائِزِ الإسلاميّةِ المهمّة الّتي أولاها القرآن الكريم، والحديث النّبويّ الشّريف عنايةً كَبِيرَةً في التَّعَاملِ مع بعض العقائدِ الإسلاميّة .

والوقوف على دلالةِ كُلِّ لَفْظٍ من هذين اللّفظين، واستخراج دلالة الألفاظ الأخرى التي تُشْتَقُّ منهما، وتحليل الآيات الّتي يرد فيها لفظ «الوعد» وما يشتقّ منه و«الآخر» وما يشتقّ منه يتطلّب بحثًا مستقلًّا ليس هنا مدار البحث فيه.

ولاستكناه دلالة المركّب «وعد الآخرة» نَقِفُ بشيءٍ من الإيْجَازِ على هذين اللّفظين لبيان دلالتهما؛ على النّحو الآتي:

أوّلًا: لفظة "وعد"

الدّلالة المعجميّة للفظة «وعد»:

الوَعْد مصدر الفعل «وَعَدَ»، و«الوَعْد والعِدَة يكونان مصدرًا واسمًا، فأمّا العِدَة فيجمع عِدَات، والوَعْد لا يجمع، والمَوْعِد: موضع التّواعد، وهو الميعاد»[٦].

يرى الأزهريُّ أنَّ: «الوَعْدَ: مصدرٌ حقيقيٌّ، والعِدَةُ اسمٌ يوضعُ موضعَ المصدر، وكذلك المَوعِدة»[٧]، والمسألةُ في كون "الوَعْد" مصدرًا، و"العِدَة" اسمًا له موضعُ خلاف؛ فالصّرفيّون يرون أنَّ كُلًّا من "الوَعْدِ"، و"العِدَة" مصدرٌ من الفعل "وَعَدَ"

وهم يُجيزونَ بناءَ المصدر من الفعل "وعد" على "وَعْدٍ" أو "عِدَةٍ"، فعلى الأولِّ "وَعْدٍ"، بَنَوْهُ على القياس في مصادر الأفعال الثلاثيةِ المتعدّيةِ التي وزنها "فَعَلَ" وعلى الوجه الآخر "عِدَة" فإنَّهم يرون أنَّ أصلها "وِعْدَة" فحُذفت الواو، ونقلت حركتها إلى عين الفعل فصار البناءُ على "عِدَة"[٨].

وقد فرَّق العرب بين فِعْلَيِ الوعد من حيث الخيرُ والشّرُّ، كما فرّقوا في المصدر، فقالوا في الخير: وعدتُهُ، وفي الشّرّ أوعدته، وفي الخير: الوعد والعِدَةُ[٩]، وفي الشّرّ: وَعَدَه وَعِيدًا، وأوْعَدَه إيعَادًا[١٠]، ويقال: «أوْعَدْته إذا تَهَدّدته»[١١]، غير أنَّ فعل الوعد لا تتّضح معه دلالته على الخير والشّرّ إلّا بقرينة؛ لأنّه قد يُستَعْمَل مطلقًا في الخَيْرِ والشّرِّ، ومثله مصدره. أمَّا أَوْع َدَ، ومِثْلَه الإيْعَاد، والوعيد، فهو في الشّرِّ خاصّة، قال ابن درستويه: «فإذا لم تذكر الشّرّ قلت أوعدته، ووعدتُهُ بكذا وكذا، يعني الوعيد، فهو ليس يحتاج إذا قيل، وعدت الرّجل إلى ذكر خير ولا شرّ، وإنْ كان يحتمل معناه كلّ واحد منهما إلّا أنْ يُخافَ اللّبس فيذكر الّذي يعني ... فأمّا أوعدتُهُ بالألف فلا يكون إلّا للشّرِّ خَاصَّة، وللتّهدُّد؛ فلذلك استُغني معه عَنْ ذِكرِ الشّرِّ، إلّا أنْ تذكر الوعيد الّذي تهدّدتهُ به، فتقول: أوعدته بالقتل أو ... مفسِّرًا للشّرّ الّذي لا يُعلَم بقولك: أوعدتُهُ»[١٢].

والوعْد «كلمة تَدلّ على ترجية بأمر يكون خيرًا أو شرًّا»[١٣]، والتّرجّي يراد به التّأمُّل من الأمل[١٤]، وقولك: وعده بأمر؛ أيْ: مَنَّاه به[١٥]، و«المنى تقدير شيء ونفاذ القضاء به، منه قولهم: منَّى له الماني؛ أيْ: قدَّر المقدِّر»[١٦].

يظهر من ذلك أنَّ «الوعد هو تقدير أمر ما والقضاء به من قِبَل الواعِد، وترجّي حصوله من قِبَل الموعود»[١٧].

ثانيًا: لفظة "الآخرة"

الدّلالة المعجميّة للفظة «الآخرة»:

وَرَدَ عَنْ الخَليلِ قوله: «هذا آخِرٌ وهذه أُخرى، والآخِرُ والآخِرة نقيض المتقدّم والمتقدّمة... ومُقدّم الشّيء ومؤخره»[١٨]، والمستأخر نقيض المتقدّم، ومؤنّث آخر: أخرى[١٩].

وقد فرّق **أبو هلالٍ العسكريُّ** بين لفظة "آخر" ولفظة "نهاية" في قوله: «الفرق بين آخِر الشّيء ونهايته: أنَّ آخِر الشّيء خلاف أوّله؛ وهما اسمان. والنّهَاية: مصدر مثل الحماية والكفاية إلَّا أنَّه سُمِّيَ بِهِ مُنْقَطع الشّيءِ، فقيل نهايته؛ أيْ: منتهاه، وخلاف المنتهى المبتدأ، فكما أنَّ قولك: المبتدأ يقتضي ابتداء فعل من جهة اللّفظ، وقد انتهى الشّيء إذا بلغ مبلغًا لا يزاد عليه، وليس يقتضي النّهاية منتهى إليه»[٢٠].

يظهر من قول **أبي هلال** هذا أنَّ لفظ "آخر" وما يشتقّ منه لا يعني انقطاع الشّيء ونهايته وابتداء شيء ثانٍ غير الأوّل، وإنّما "الآخر" شيء يأتي بعد الأوّل ليكون من تمامه، وأكّد هذا الأمرَ **الجوهريُّ** في قوله: «والآخر بعد الأول، وهو صفة. تقول: جاء آخِرًا؛ أيْ: أخيرًا، والأنثى آخرة، والجمع أواخر .... وقولهم: جاء في أخريات النّاس؛ أيْ: في أواخرهم، ومؤخّر العين الّذي يلي الصّدغ، يقال: نظر في مؤخّر عينه»[٢١].

فهذا القول يثبت أنَّ الأوّلَ والآخرَ لفظان يصفان شيئًا واحدًا له أوّل مقدّم ومؤخّر غير مقطوع بينهما بقاطع؛ فهناك رابطة بين الأوّل والآخر، ومثاله قولنا: «ضرب مُقَدَّم رأسه ومؤخّره»[٢٢].

فهذه الجملة تصف شيئًا واحدًا له مقدّم ومؤخّر، وقد استشهد الزّبيديّ على صحّة رأيه بما ذكره ثعلب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾الحجر:٢٤، وذلك في قوله: «قال ثعلب: أيْ: علمنا من يأتي منكم إلى المسجد مُتَقَدِّما ومن يأتي مستأخرًا»[٢٣].

ومن استعمال لفظة "آخر" للدّلالة على عدم انقطاع الشّيء ونهايته ما ذكره **الهمذانيّ** في قوله: «تواترت الإبل إذا جاء شيء منها ثُمَّ بقيت هنيَّة فجاء شيء آخر»[٢٤]، فهذا النّصّ يُبَيِّنُ دخول أوّل الإبل، واستمرارها بالدّخول حتّى يصل آخرها، ومثلها قول **ابن مرزبان الباحث**: «وتلحق آخِرَ نعمتك بأوّلها»[٢٥]، وقريب من ذلك أيضًا قول **ابن مالك الطّائيّ**: «الدّلجة: آخر اللّيل»[٢٦]، و«الدّمص: جمع أدمص، وهو الّذي رقَّ آخر حاجبيه وكثف أوّله»[٢٧]، ومن ذلك أيضًا «الزّكمة: آخر الأولاد ولادة»[٢٨]، و«السّرر: آخر ليلة من الشّهر»[٢٩].

فلفظة "آخر" في هذه النّصوص جميعًا تُعبِّرُ عن وصف لآخر الشّيء، وتثبت أنَّ كلَّ شيءٍ له أوَّل وآخر، وأن لفظة "آخر" لا تعني انقطاع الشّيء ونهايته.

ومؤنّث الآخر الآخرة، وما جرى من كلام على لفظة «آخر» يجري على لفظة «آخرة»، فهي تعبر عن شيء له أولى وله آخرة يكون على امتداد واحد، على أنْ لا تكونَ الأولى من جنس، والآخرة من جنسٍ ثانٍ مغاير تمامًا للجنس الأول، ومثال ذلك "الدّنيا"، فإذا قلت: الأولى والآخرة، اقتضى أنْ تكونَ الآخرة دالّة على آخر الدّنيا، وليس على القيامة وما بعد القيامة؛ وعلّة ذلك أنَّ القيامة عالمٌ يختلف تمامًا عن عالم الدّنيا؛ فلا شمس فيها، ولا سماء، ولا أرض، ولا بحار، ولا جبال، ولا موت، وغير ذلك من الفوارق الّتي ذكرها القرآن الكريم بكثرة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السّمَاءَ﴾"الأنبياء من الآية:١٠٤»، و﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾"الحاقة:١٤"، و﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾"التكوير:٦"، و﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ "الإنسان من الآية ١٣".

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكّد ما رَجَّحَه البَحْثُ، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «آل عمران:٧٧» .

فلو كانت ﴿الآخرة﴾ ترادف ﴿يوم القيامة﴾ لاقتضى السّياق أن يقول:

أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ ، أو أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يوم القيامة، فيكتفي بذكر أحد اللفظين،

أمَّا وقد ذكرت الآية كلا اللفظين، وربطت بينهما بأداة العطف "الواو" التي تقتضي المغايرة بين المعطوفين، كان ذلك دليلًا على وجود يومين متغايرين.

يبدو ـ والله العالم ـ أن هذا ما أشارت إليه الآية، فذكرت يومين.

الأوّل: يوم الآخرة، وخصّته بصفة واحدة، هي: ﴿لا خَلاَقَ لَهُمْ﴾.

الثّاني: يوم القيامة، وخصّته بالصّفات: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يوم الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وأنَّ لفظة "آخرة" إذا أضيفت إلى لفظة "وعد" شكّلت المركّب "وعد الآخرة".

والمركّب "وعد الآخرة" يقتضي أنْ يُسبَقَ بالمركّب "وعد الأولى"؛ فيكون "وعد الآخرة" هو الجزء المتمّم الّذي يأتي بعد "وعد الأولى". وقد ذُكِرَ كلا المركّبين في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ "الإسراء: ٤ - ٧".

المبحث الثّاني: دلالة "وعد الآخرة" عند المفسّرين

ذُكِرَ المركّب «وَعْد الآخِرَةِ» في القرآن الكريم في موردين؛ الأوّل: في قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ "الإسراء:٤- ٧".

والثاني في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ "الإسراء:١٠٤"

و﴿وعد الآخرة﴾ يدلُّ عند بعض المفسّرين على يوم القيامة، وإنِ اختلفوا فيه بعض الاختلاف، إذِ اختار **الطّبريّ** دلالته على السّاعة في قوله: « فإذا جاءت السّاعة، وهي وعد الآخرة»[٣٠]، وهذا ما اختاره **الزّمخشري** بقوله: «﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: قيام السّاعة»[٣١] وهو الرّأي الّذي أخذ به **ابن عطيّة الأندلسيّ**[٣٢]. وهي عند **البغويّ** تدلّ على يوم القيامة؛ إذ قال: «﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: يوم القيامة»[٣٣]، ووافقه على هذا الرّأي **الرّازي**، و**الخازن**، و**البيضاوي**[٣٤] في حين رَجَّحَ **السّمرقندي** دلالتها على البَعْثِ بعد المَوْتِ ونلمس هذا في قوله: «﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: البعث بعد الموت»[٣٥]. وقريب منه قول **ابن عاشور**: «﴿وعد الآخرة﴾: ما وعد الله به الخلائق على ألسنة الرّسل من البعث والحشر»[٣٦].

وإجمالًا فإنَّ المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ عندهم يدلُّ على يوم القيامة، وما يرافقه من أحداث نهاية الدّنيا وموت الخلائق، والانتقال إلى حياة ما بعد الموت.

يبدو أنَّ الدّليل الّذي استند إليه المفسّرون في القطع على دلالة ﴿وعد الآخرة﴾ على يوم القيامة هو تتمّة الآية وهو قوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، وهذا ما استدلّ به أحد المفسّرين عندما سُئل عن ﴿وعد الآخرة﴾ هل تعني يوم البعث؟ فأجاب قائلًا: «ظاهرًا ... إنَّ الإجابة بالإيجاب، حيث إنَّ جملة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ قرينة على هذا الموضوع، ومُؤَيِّدة لهذا الرّأي. إلّا أنَّ بعض المفسّرين احتملوا أنَّ ﴿وعد الآخرة﴾ إشارة إلى ما أشرنا إليه في بداية هذه السّورة، مِن أنَّ الله تبارك وتعالى قد تَوَعَّد بني إسرائيل بالنّصر والهزيمة مرَّتين، وقد سمّى الأُولى بـ﴿وعد الأُولى﴾ والثّانية بـ﴿وعد الآخرة﴾ إلّا أنَّ هذا الاحتمال ضعيف مع وجود قوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾»[٣٧].

فجعل لفظة ﴿لفيفا﴾ دليلًا على أنَّ ﴿وعد الآخرة﴾ هو يوم القيامة. وبذلك فقد فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ بأنّها تعني: «جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطًا يعني جميع الخلق: المسلم والكافر والبرّ والفاجر»[٣٨] أو أنّها تقصد كما ذكر **البيضاويّ**: «﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ مختلطين إيّاكم وإيّاهم ثمّ نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم»[٣٩].

المبحث الثّالث: التّحليل النّصّيّ للمركّب القرآنيّ "وعد الآخرة"

ورد المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ "الإسراء:١٠٤".

والنّظَرِ في ألفاظِ هذهِ الآيةِ، وتراكيبها، والسّياقِ الّذي وَرَدَتْ فيهِ، يَضعُ النّاظرَ أمامَ حقيقة تغاير ما توافق عليه بعض المفسّرين من دلالة ﴿وعد الآخرة﴾ على يوم القيامة. ويمكن ملاحظة ذلك بتحليل الآية على وفق المعايير الآتية:

أوّلًا: الاتّساق

الاتّساقُ هو التّماسكُ الشّديدُ بينَ الأجزاء المؤلّفة لنصّ لغويّ ما أو خطاب ما، ويهتمّ بالمسائل اللّغويّة «الشّكليّة» الموصولة بين العناصر المكوِّنة لجزءٍ من خطاب أو خطاب برمّته"[٤٠].

والاتّساق وسيلة تختصّ «بالوسائل الّتي تحقّق بها خاصّيّة الاستمراريّة في ظاهر النّصّ»"[٤١].

وأنَّ تقصّي الآيات الّتي ذُكِر فيها المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ يرجعنا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ "الإسراء من الآية:١٠١"، إذ يرى البحث أنَّ المركب ﴿وعد الآخرة﴾ يبدأ سياقه من الآية "١٠١" وينتهي بالآية "١٠٤" متمثلًا بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ۞ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۞ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۞ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾"الإسراء:١٠١– ١٠٤".

وفي ما يأتي عرض لبعض الأدلّة التي تثبت تعالق المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ بما تقدّمه من آيات في إطار نصٍّ متناسق، وعلى النّحو الآتي:

١ – الاتّساق المعجميّ

يسمّى "الاتّساق المعجميّ" بالرّبط المعجميّ، ويُعَدُّ مِن المَصَادرِ الأساس للرّبطِ اللّفظيّ بين الجملِ؛ فالرّبط المعجميّ «هو الرّبط الّذي يتحقّق من خلال اختيار المفردات عن طريق الإحالة؛ أيْ: إحالة عنصر إلى عنصر آخر»"[٤٢]". وقد وضَّح علماء لغة النّصّ كيفيّة حدوث الرّبط على مستوى المعجم؛ إذ أشاروا إلى أنّ الرّبط يحدث بوساطة استمراريّة المعنى، ممّا يعطي النّصّ صفة النّصّيّة"[٤٣]"، وذلك يتمّ «عندما تتحرّك العناصر المعجميّة على نحو منتظم في اتّجاه بناء الفكرة الأساسيّة للنّصّ وتكوينه»"[٤٤]"، والاتّساق المعجميّ في هذا النّصّ يتمّ بظاهرتين تكشف عنهما خطّيّة النّصّ؛ هما:

أ – التّكرار:

يُصوِّر المخطّط الآتي أثر التّكرار في تحقيق ترابط هذا النّصّ وانسجامه:

التكرار التام	عدد مرات التكرار
موسى «عليه السلام»	2
بني إسرائيل	2
فرعون	2
لأظنك	2
قال	2
الأرض	3
التكرار الجزئي	عدد مرات التكرار
جاءهم/ جاء/ جئنا	3
قال/ قلنا	2

يَلْمسُ المحلّلُ لهذا النّصّ أثر التّكرار في اتّساق النّصّ، وترابطه؛ فقد وردت في النّصّ ألفاظ ذات تكرار تامّ وأخرى ذات تكرار جزئيّ، وانتشرت هذه المفردات عبر مساحة النّصّ لتربط بين أجزائه ومقاطعه.

وأدّى ذِكْر المركّب ﴿بني إسرائيل﴾ في بداية النّصّ المتمثّل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وتكراره في نهاية النّصّ في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى تشكيل ركيزة ربطت أوّل النّصّ بآخره بما يحقّق تماسك النّصّ على مستوى الصّورة والمعنى.

ثمّ إنَّ تكرار لفظة ﴿الأرض﴾ في هذا النّصّ القصير ثلاث مرّات، وفي ثلاث آيات متقاربة؛ متمثّلًا بقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ يتحكّم في نسج الدّلالة الخاصّة بهذه الأرض، وينمّ على تَوحّد الحدث المشكّل لموضوع النّصّ؛ لتبقى لفظة ﴿الأرض﴾ دالّة على عموم الأرض، وليست مخصّصة بأرض معيّنة كما زعم **الزّمخشريّ، وابن عطيّة الأندلسيّ، وعليّ بن محمّد الخازن، وأبو حيّان الأندلسيّ** في تفسير قوله تعالى: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾؛ إذ قال **الخازن**: «يعني أرض مصر والشّام»[٥].

ولتوضيح هذا الرّأي نرسم مخططًا يبيّن موارد ذكر لفظة ﴿الأرض﴾ في سورة الإسراء على النّحو الآتي:

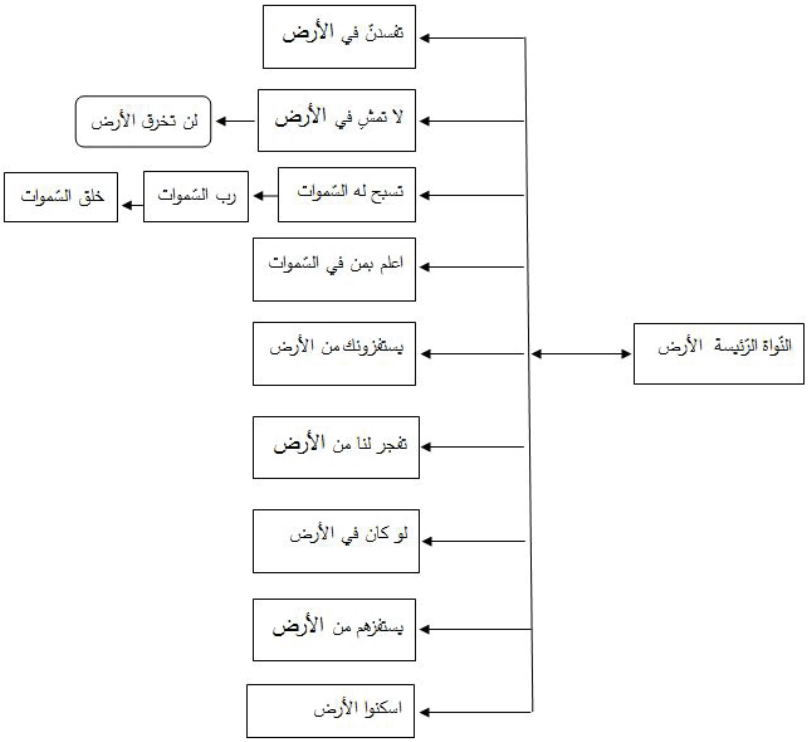

فهذا المخطّط يبين أنَّ لفظة ﴿أرض﴾ تكرّرت في سورة الإسراء اثنتي عشرة مرّة، ووظّفت في جميعها للدّلالة على عموم الأرض، ولم تخصّص بأرض معيّنة، وهذا ما ذكره البقاعيّ في قوله: «﴿اسكنوا الأرض﴾ أيْ: مطلق الأرض إشارة إلى أنَّ فرعون كان يريد محوهم عن الأرض»[٤٥]. ثُمَّ إنَّ الآية التي سبقت الآية موضع البحث وهي قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ تعني أنّ فرعون أراد أنْ «ينفي بني إسرائيل عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه»[٤٦].

فالبحث يرى أنَّ عموم اللفظ يدلُّ على عمومِ السّكنِ؛ أي: اسكنوا جميع الأرض؛ وذلك بعد ما جاس عباد الله أولو البأس الشّديد ديارهم، وتملكوا أرضهم، وشرّدوهم في بقاع الأرض.

فإذا تحقّقت العلامات واقترب الوعد جمع الله تعالى بني إسرائيل من كُلِّ أرجاء المعمورة في مكان محدّد، وهو المعنى المتحصّل من لفظة ﴿لفيفا﴾ الّتي تعني «الجماعات من قبائلَ شتّى»[٤٧] «من هاهنا وهاهنا، واللّفيف الجمع العظيم من أخلاط شتّى من الشّريف والرّديء والمطيع والعاصي والقويّ والضّعيف، وكلّ شيء خلطته بشيءٍ آخَرَ فقد لففته، ومنه قيل: لففت الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض»[٤٨].

ينتج من ذلك أنّ لفظة لفيف تعني جمع الأفراد المنتشرين في الأرجاء وجمعهم في مكان واحد؛ وهذا ما أكده السّمرقندي في قوله: «اللفيف: الجماعة من كلِّ قبيلة»[٤٩].

أمّا إذا أخذنا برأي من يرى دلالة ﴿الأرض﴾ على مصر والشّام؛ فهذا يعني أنَّ بني إسرائيل يكونون مجتمعين في مصر والشّام في وقت مجيء الآخرة، وبذلك تنتفي الحاجة إلى قوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

ب – المصاحبات المعجميّة:

بيَّن البحث أنَّ المصاحبات المعجميّة الّتي عرفت عند النّصّيّين بأنّها: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة؛ نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك»[٥٠]، وأنّها تسهم في خلق التّرابط بين الكلمات؛ لوجود ربط لفظيّ بين أزواج من العناصر المعجميّة الّتي تظهر مع بعضها في علاقات دلاليّة تمكن النّاظر من إدراكها.

والمصاحبات المعجميّة على أنواع؛ منها: ما يتصاحب بالتقابل من قبيل: "ليل/ نهار"، و"أسود/ أبيض"، و"أول/ آخر"، و «حقّ/ باطل".

وهنا يَسْتَفْهِمُ البَحثُ عن المُرَكَّبِ موضع الدّراسة ﴿وعد الآخرة﴾: هل له مركب آخر يقابله كأن يكون ﴿وعد الأولى﴾؟، وهل ذُكِرَ هذا المركب في السّورة نفسها؛ ليسهم في بيان المراد من ﴿وعد الآخرة﴾، وتحديد معناه؟.

يمكن القول أنَّ الإجابة عن هذين السّؤالين تكمن في اعتمادنا معيار التّناصّ الّذي سنقف عليه بعد إثبات نصّيّة هذا النّصّ، وبيان اتّساقه وترابطه.

٢- الاتّساق النّحويّ: ويكون على صور؛ منها:

أ- الإحالة بالضّمير:

الإحالة بالضّمير في هذا النّصّ جاءت متنوّعة، يمكن رصدها على النّحو الآتي:

المحال عليه	العنصر المحيل	المحال إليه
الله تعالى	ضمير المتكلم "نا"	ءاتينا، أغرقنا، قلنا، جئنا
موسى «عليه السلام»	الضّمير "الهاء" ضمير "الكاف" الضّمير "الياء" الضّمير "هو"	له أظنك إني لأظنك قال

النّبي محمّد ﷺ	ضمير الغائب المنفصل "أنت"	فسأل بني إسرائيل
فرعون	الضّمير "الكاف" تاء الفاعل الضّمير "هو" الضّمير "الهاء"	أظنك علمت فأراد فأغرقناه، معه
بني إسرائيل	الضّمير "هم" الضّمير "انتم" الضّمير "الكاف"	جاءهم ، يستفزهم اسكنوا ،بكم

الملحوظ في هذا الجدول أنَّ هذا النّصّ وظَّف الضّمائر المحيلة إلى ربّ العزّة سبحانه وتعالى المتمثّلة بقوله تعالى: ﴿ءاتينا﴾، و﴿أغرقنا﴾، و﴿جئنا﴾، وكلها تحيلُ إلى ربِّ العزةِ ﷻ الّذي ذكر في الآية الّتي سبقت النّصّ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾"الإسراء من الآية٩٩" إحالة قَبْليّة داخليّة. وأحال إلى موسى«عليه السلام» وفرعون بضمائر المخاطب والغائب وكانت الإحالة عليهما إحالة داخليّة قبْليّة أيضًا. وأحال على بني إسرائيل بضمير الغائب المستتر ﴿هم﴾ في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾، وأحال إليهم بضمير الغائب «أنتم» المتمثّل بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾، وأحال إليهم بضمير المخاطب "الكاف" في قوله تعالى: ﴿جئنا بكم﴾، وهذه الضّمائر جميعها تحيل إحالة داخليّة قبليّة على بني إسرائيل.

والملحوظ في الإحالة على النّبيّ محمّد «ﷺ» أنّها لا ترجع إلى اسم مذكور سابقًا أو لاحقًا؛ إذ لم يذكر اسم النّبيّ محمّد «ﷺ» أو ما يدلّ عليه كلفظة "النّبيّ" أو "الرّسول" في هذا النّصّ، وبهذا يمكن عدّ الإحالة على هذا الأساس إحالة "مقاميّة"، الّتي تعني إحالة عنصر لغويّ على عنصر إشاريّ غير لغويّ موجود في المقام الخارجيّ؛ لتكونَ الإحالة إليه إحالة مقاميّة، وهي بذلك تخرج النّصّ من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على السّياق.

وقد تنوّعت هذه الضّمائر بين المفرد والجمع، والاستتار والإظهار ما أسهم في تنوّع القيمة الدّلاليّة لأجزاء هذا النّصّ، وأعطى له نسيجًا متراصًّا.

ب – الرّبط:

كلّ نصّ مكتوب أو مقروء يتألّف من فقرات أو جمل متسلسلة، وهذه الفقرات أو الجمل كي تكون مترابطة لا بُدّ من وجود أدوات تسهم في الرّبط بين هذه الجمل بأنواعها المختلفة لتنتج نصًّا مترابطًا. وكلّما ازدادت أدوات الرّبط في النّصّ ازدادت قوّة التّماسك النّصّيّ بين فقراته وجمله"[٥١]، وهذا برأي محمّد الشّاوش يجعل النّص معتمدًا بعضه على بعض «إذ يمكن أن يرجع الرّبط بين الجمل إلى مبدأ العطف في أعمِّ وجوهه، فهو ربط بين مكونات لها ببقية العناصر العلاقة والوظيفة نفسها؛ ولكن ضمن قيود تركيبية»"[٥٢].

ومن أدوات الرّبط العطف الذي تظهر وظيفته في «وصل الكلام بعضه ببعض، والإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه»[٥٣].

والأدوات التي وردت للربط بين أجزاء هذا النّصّ هي «الواو، والفاء، وإذا» والمخطّط الآتي يبيّن عملها في ترابط النّصّ:

أداة الرّبط	التركيب الذي ورد فيه	تكرارها
الواو	«السّموات والأرض» ، و«قال لقد علمت ... وإني لأظنك»، و«فأغرقناه ومن معه»، و«قلنا من بعده»	4
الفاء	«فسئل»، و«فقال»، و«فأراد»، و«فأغرقناه»، و«فإذا»	5
إذا	«فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم»	1

احتوى هذا النّصّ على ثلاثة أنواع من أدوات الرّبط، هي: "الواو، والفاء، وإذا"، وقد أسهمت هذه الأدوات قي جعل النّصّ متّسقًا من أوله إلى آخره، فسار على نسق واحد مترابط، وكان لتكرار هذه الأدوات أثره الواضح في زيادة قوّة التّرابط والتّماسك داخل الوحدة النّصّيّة؛ ممّا جعل من النّصّ وحدة واحدة، مبنيًّا بعضه على بعض دلاليًّا، ومن ثَمَّ جعلت منه نصًّا مسبوكًا محتفظًا بكينونته واستمراريّته .

يظهر ممّا تقدّم أنّ الآيات «١٠١ – ١٠٤» تشكّل نصًّا منسجمًا على درجة عالية من الاتّساق. وأنّ السّياق الّذي ورد فيه هذا النّصّ لا يتحدّث عن الموت، أو القبر، أو الحساب، أو البعث، أو القيامة، أو ما يشير إلى انتهاء الحياة، وقيام القيامة؛ فضلًا

عن ذلك أنَّ الآية الّتي ورد فيها المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ لا تحتوي على ما فيه ذكر للموت، أو القبر، أو البعث.

إذ تدور أحداث هذا النّصّ حول ما آتى الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام من الآيات البيّنات، ووصف الحوار الّذي دار بينه وبين فرعون، وبيان كيف أنَّ فرعون أراد أنْ «ينفيَ بني إسرائيل عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه»[٥٤]، ثمّ وصف انتشار بني إسرائيل في أنحاء الأرض، وأصقاع المعمورة متوعّدًا إيّاهم بأنّه إذا جاء وعد الآخرة، فسيأتي بهم من كلّ أنحاء الأرض، ويجمعهم في مكان واحد.

ثمّ إنّ الآية تتحدّث عن قضيّة مستقبليّة لم يأتِ وقت تأويلها؛ بدليل استعمال أداة الشّرط المستقبليّة ﴿إذا﴾، وهي أداة ربط «تستعمل اسمًا وحرفًا، فإذا كانت حرفًا كان معناها المفاجأة وتختصّ بالجمل الاسميّة ولا تحتاج إلى جواب»[٥٥]، وأمّا إذا كانت «اسمًا فهي ظرف للمستقبل مضمّن معنى الشّرط»[٥٦].

وقد اختلف اللّغويّون فيها فهي عند سيبويه ظرف[٥٧]، وعند الأخفش حرف[٥٨]، ثمّ الّذين قالوا إنّها ظرف اختلفوا أيضًا، فذهب المبرّد إلى أنَّها ظرف مكان، «وهو مذهب الفارسيّ وابن جنّيْ ونسب إلى سيبويه»[٥٩]، وأخذ بهذا الرّأي ابن عصفور أيضًا[٦٠]، في حين ذهب آخرون إلى أنّها ظرف زمان[٦١]، وهو «مذهب الزّجّاج والرّياشي، واختاره ابن طاهر، وابن خروف، ونسب إلى المبرّد»[٦٢].

والأداة ﴿إذا﴾ سواء أكانت ظرف زمان أم مكان فهي عند اللّغويّين ظرف للمستقبل، قال سيبويه: «وأمّا "إذا" فلِمَا يستقبل من الدّهر»[٦٣]، وقد أكّد الزّجّاجيّ دلالة ﴿إذا﴾ المستقبليّة بقوله: «"إذا" ظرف لزمان مستقبل، كقولك: إذا قدم زيد أحسنت إليك»[٦٤].

وبَيَّن بعض الباحثين أنَّ "إذا" «إذا وقع الماضي بعدها في جملة الشّرط أو الجواب، جعلته دالًّا على المستقبل ما لم يدلَّ عليه دليل»[٦٥]، وقد استدلَّا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾"الرّوم:٢٥" إذ قالا: «فالدّعوة للخروج من الأرض لا شكّ في أنَّها مستقبليّة»[٦٦] .

ثالثًا: التّناصّ :

بعد أنْ أثبتنا أنّ المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ ليس من متعلقات يوم القيامة، وإنّما هو جزء من نصّ، وصفة هذا النّصّ أنّه يصف أحداثًا، ووقائعَ، منها ما حدثت في بني إسرائيل في الماضي، ومنها ما ستحدث في المستقبل، بقي أنْ نرى هل القرآن الكريم أورد المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ في نصٍّ آخَرَ؛ كي يتسنّى لنا معرفة المراد من هذا المركّب وبيان معناه؟

تكمن الإجابة عن هذا السّؤال في أنَّ القرآن الكريم قد فسَّر المراد من ﴿وعد الآخرة﴾ في السّورة نفسها؛ إذ أورد هذا المركّب في أوائل سورة الإسراء؛ متمثّلًا

بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ "الإسراء من٧".

فيكون المركّب ﴿وعد الآخرة﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ "الإسراء:١٠٤"، يتناصّ مع ﴿وعد الآخرة﴾ الوارد في هذه الآية الّتي جاءت هي الأخرى؛ لتكونَ جزءًا من النّصّ القرآنيّ الآتي: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾"الإسراء٤-٧".

فما ورد في هذا النّصّ من ألفاظٍ وتراكيبَ يوحي بأنَّ المراد بها ما يقع من أحداث في هذه الدّنيا بدلالة قوله تعالى: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الّتي قال **الطّبريّ** في تفسيرها: «يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرّة الآخرة وجوهكم فيقبحها»[٦٧]، وعند **السّمرقندي** أنّه «أخذ من السّوء؛ أيْ: بعثناهم إليكم؛ ليقبّحوا وجوهكم بالقتل والسّبي»[٦٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الّتي تؤكّد بأنّ الدّاخلين بيت المقدس هم المسلمون، وليس غيرهم؛ بدلالة دخولهم المسجد،

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ ، و«التَّبار: الهلاك والفناء»[٦٩]، **و يقال: «تبَّره تتبيرًا: أيْ: كسَّره وأهلكه»**[٧٠]، وكلُّ شيءٍ جعلته مكسَّرًا، ومفتَّتًا، فقد تَبَّرْتَهُ، ومنه قيل: تبر الزّجاج وتبر الذّهب لمكسره[٧١].

فَوَصَفَ القرآن الإفساد الأوّل بالمركّب الإضافيّ ﴿**وَعْد الأولى**﴾، والإفساد الثّاني بالمركّب الإضافيّ ﴿**وعد الآخرة**﴾ فيكون المراد من ﴿**وعد الآخرة**﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾"الإسراء:١٠" أي: اسكنوا جميع الأرض، فإذا جاء وَعْد إفسادكم الثّاني، وعلوّكم في الأرض، جئنا بكم من جميع أنحاء الأرض، وجمعناكم في مكان واحد؛ ليقتصَّ منكم عبادُ اللهِ أولو البأس الشّديد.

ويؤيّد هذا ما ذكره السّيّد الطّباطبائيّ في قوله: «وليس ببعيد أن يكون المراد بوعد الآخرة ما ذكره الله سبحانه في أوّل السّورة فيما قضى إلى بني إسرائيل بقوله: «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة وليتبّروا ما علوا تتبيرًا» وإنْ لم يذكره جمهور المفسّرين فينعطف بذلك ذيل الكلام في السّورة إلى صدره، ويكون المراد أنّا أمرناهم بعد غرق فرعون أن اسكنوا الأرض المقدّسة الّتي كان يمنعكم منها فرعون والبثوا فيها حتّى إذا جاء وعد الآخرة الّتي يلتفّ بكم فيها البلاء بالقتل والأسر والجلاء جمعناكم منها وجئنا بكم لفيفًا؛ وذلك إسارتهم و إجلاؤهم إلى بابل»[٧٢] – والله العالم – .

وهناك تفصيلات في وقوع الإفساد الأوّل أو عدمه، وكذا في الإفساد الثّاني، ومَن المقصود من قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ ولكن الدّخول فيها ممّا يخرجنا عن بحثنا وحدوده اللّغويّة.

ويمكن الإلماح في هذه العجالة إلى أنَّ وصف الّذين سيقفون بوجه بني إسرائيل بعد إفسادهم بأنّهم ﴿عبادًا﴾[٧٣] وهي لفظة وُظِّفت في القرآن الكريم للدلالة على المجموعة الصّالحة من البشر، ثمّ إرجاعهم إلى ربّ العزّة باستعمال الضّمير ﴿نا﴾، وتأكيد الأمر باستعمال لام التملك ﴿لنا﴾ في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ "الإسراء من الآية ٥"، واستعمال أداة الشّرط المستقبلية ﴿إذا﴾، كلّ هذا يؤكّد أنّ هذه الآيات تتحدّث عن وعد مستقبليّ، يقضي بأنَّ بني إسرائيل سيعلون في الأرض، ويعيثون فيها فسادًا، وأنَّ الله تعالى سيرسل إليهم جندًا من أوليائه الصّالحين، فيهزمونهم، ويشتّتون شملهم، ويُضْعِفُون إرادتهم، ويفرقون جمعهم، فيلوذون للخلاص منهم بالفرار، فليجؤون الى المدن والقرى البعيدة. ثمّ تُعَاد الكرّة لبني إسرائيل، فيلمّون شملهم، ويجمعون متفرّقهم، فيزداد عددهم، وتقوى شكيمتهم، وتتعاظم قوّتهم، فيكونون أكثر عددًا وعُدَّة، وهو المتحصّل من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ "الإسراء: ٦"، فيعلون في الأرض مرّة أخرى، ويفسدون فيها، فيبعث الله تعالى عليهم عباده الصّالحين مرّة أخرى؛ فيقضون عليهم، ويدمّرون كلّ ما حصلوا عليه

من الملك والنّفوذ والسّلطان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾"الإسراء من الآية ٧".

وأمّا قول بعض المفسّرين أنّ كلا الإفسادين قد تحقّقا في بني إسرائيل قبل الميلاد، وأنّ الله تعالى قد بعث إليهم جالوت، أو سنحاريب، أو بختنصَّر؛ وفي الإفساد الثّاني بعث إليهم إسبيانيوس ملك الرّوم، أو العمالقة، أو كوشان رشتاعيم ملك آرام النّهرين أو .... فقد بَيَّنا ضعف هذه الآراء وتناقضها مع القرآن الكريم؛ فضلًا عن معارضتها لكثيرٍ من الحقائق التّأريخيّة الخاصّة في بني إسرائيل، وأثبتنا ذلك في بحث مفصّل تحت عنوان «الوعد القرآني بوراثة الأرض في ضوء علم لغة النّص»[٧٤].

وقد تنبّه على هذه المسألة الباحث "كامل سليمان" في قوله: «وقد توهّم أكثر المفسّرين فاعتبروا أنَّ المرّة الثّانية لإبادة اليهود هي دخول بُخْتُنَصَّر المذكور، مع أنَّ سَرْدَ الآيات الكريمة لا ينطبق على ضربته لهم، فقد ذكر القرآن الكريم مراحل التمهيد لهذه البطشة... بحيث ترى تسلسل المراحل خطوةً خطوةً... ثمّ لا يعتِّم أنْ يجيءَ ذِكْرُ النّهاية في السّورة نفسها... ويَعِد بتجميع اليهود ﴿جئنا بكم لفيفًا﴾»[٧٥].

ويؤكّد الباحث أنّ «الوعيد المتكرّر في الآيات يدلّ على وقوعِ أمرٍ سيحدث لهم فيما يُسْتَقْبَلُ، أيْ: بعد ظهور الإسلام لا قبله، ولم يأتِ بشكل الإخبار والتّحدُّثِ عن موقعة «بُخْتَنَصَّر" ولا فتوحات الإسلام للمناطق اليهوديّة في سالف الأيّام»[٧٦]. فالقرآن ـ في رأي الباحث ـ «يخاطبهم ويُنذرهم بشيء سيحصل لهم في مستقبل حياتهم لا في صدر الإسلام كما توهّم المتوهّمون»[٧٧].

المبحث الرّابع: المُعضِّدات

جاء في بعض الكتب المقدّسة ما ظاهره التّوافق مع ما فهمناه من الآية موضع البحث؛ فقد ذُكِرَ في إنجيل متّى ما يشير إلى خراب بيت المقدس وتحطيم دور اليهود؛ من ذلك ما ورد في حوار بين المسيح وحواريّه: «... وبهذا يقع عليكم كلّ دم زكيّ سفك على الأرض ... والحقّ أقول لكم: إنّ عقاب ذلك كلّه سينزل بهذا الجيل، يا أورشليم، يا أورشليم، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها! ....إنّ بيتكم يترك لكم خرابًا! فإنّي أقول لكم إنّكم لن تروني من الآن، حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرّب»[٧٨].

فهذا النّصّ يثبت التّحطيم المستقبليّ لبيت المقدس، ويُنْبِئ بعودة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الّذي يقترن خروجه بخروج أحد أولياء الله الصّالحين، ومثل هذا أيضًا ما ورد في مراثي أرميا: «... لم يصدق ملوك الأرض وسكّان المعمورة أنّ العدوّ والخصم يقتحمان بوابات أورشليم. عقابًا لها على خطايا أنبيائها وآثام كهنتها، الذين سفكوا في وسطها دم الصّدقين»[٧٩].

وهو أمرٌ قد أشارت إليه بعض آيات القرآن الكريم، وكثيرٌ من الأحاديث النّبويّة المباركة الّتي تؤيّد صحّة ما ذهبنا إليه، وتؤكّد دخول أحد أولياء الله تعالى مع جنوده بيت المقدس؛ من ذلك ما رواه مسلم عن النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» أنّه قال: «لا تقوم السّاعة حتّى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون»[٨٠].

وأكّد **الثعالبي** ارتباط هذه الآية بالوعد المستقبليّ بظهور المنقذ، الّذي يكون مجيء عيسى بن مريم علامة على ظهوره، وذلك بقوله: «﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني مجيء عيسى بن مريم من السّماء»[٨١].

كلّ هذا دفع البحث إلى القول بأنّ المراد من الوليّ أو المنقذ الذي سيكون إهلاك بني إسرائيل على يديه هو المهديّ عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه؛ والله أعلم.

الخاتمة:

بعد أنْ أنهت هذه الدّراسة صفحتها الأخيرة من البحث ولمّا يزل الفكر متأمّلًا بحيثياتها، أفضت إلى مجموعة من النّتائج يمكن إجمالها بما يأتي:

١- كي يتمكّن المتلقّي من فهم بعض الحقائق القرآنيّة، وما ورد في كلام الحكماء لا بدَّ أنْ يتقنَ النّظام الدّاخليّ للّغة؛ لأنّ البنية السّطحيّة للّغة هي نتيجة آليّة لبنى كانت في الأعماق. ومعنى هذا أنَّ الاقتصار على البنية السّطحيّة غير كافٍ للوقوف على كنه اللّغة ومعرفة مدلولاتها؛ ومن ثمَّ فكّ عبارة النّصّ القرآنيّ ومعرفة مرادها وإدراك الحكم المرجوّ منها.

٢- يوافق البحثُ المحدثين فيما دعَوا إليه من ضرورة دراسة المعايير النّصّيّة للغة من أجل التّوصّل إلى فهم مراد منتج النّصّ.

٣ - يقف البحث على أنَّ ﴿وعد الآخرة﴾ لا يعني يوم القيامة؛ بل هو يوم آخر له

أشْرَاطه الّتي تميّزه من غيره من أيّام الله عزّ وجلّ. وأنّ في النّظم القرآنيّ إرادة مسبَّقة حينما ذكر المركّبات (وعد الأولى)، و﴿وعد الآخرة﴾، و(يوم القيامة)؛ فلكلّ يوم من هذه الأيّام الثّلاثة ميزات وخصائص وألفاظ خاصّة به لا تستعمل مع غيره من الأيّام، وإثبات ذلك يحتاج إلى مزيد تدبّر وإنعام نظر لمعرفة خصائص هذه الأيام والوقوف على أسرارها.

٤ – الّذي يظهر أنَّ «وعد الآخرة» الوارد ذكره في أكثر من آية قرآنيّة إنّما يشير إلى ما ورد ذكره في المبحث الرّابع من ظهور منقذ البشريّة الّذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا؛ وهو المهديّ من آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين، ولا يشير إلى يوم القيامة؛ والله العالم.

الهوامش:

١-جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف:٢٥.

٢-الكلمة في الرّواية، ميخائيل بختين: ٢٩.

٣-جماليات المفردة القرآنية:٢٦.

٤-بحث في علم الجمال، جون برتيليمي: ٢٨٦

٥-جماليات المفردة القرآنية: ٢٧.

٦- العين: «وعد».

٧- تهذيب اللغة: «وعد»

٨- ينظر: المنصف، ابن جني:١/ ١٨٤أ والعُمُد كتابٌ في التصريف، عبد القاهر الجرجانيّ: ١١٨أ والفصول في العربيةأ أبو محمّد بن سعيد بن المبارك الدهان: ٩٥أ وتقريب المقربأ أبو حيان الأندلسي: ١١٦.

٩- ينظر: إصلاح المنطق: ٢٢٦، و: أدب الكاتب:٢٧١، و: كتاب الأفعال: ٣/ ٢٩٦، و: المزهر:١/ ١٦٣.

١٠- ينظر: المحيط في اللغة «وعد» ، والقاموس المحيط «وعد» ، و المصباح المنير «وعد».

١١- المحيط في اللغة «وعد».

١٢- تصحيح الفصيح:١/ ٣١٣، وينظر: ليس في كلام العرب، ابن خالويه: ١٨٧، والفروق اللغوية: ٤٧.

١٣- معجم مقاييس اللغة: «وعد».

١٤- المصدر نفسه: «وعد».

١٥- المعجم الوسيط: ١٠٤٣.

١٦- معجم مقاييس اللغة : منى.

١٧- وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السّماوية دراسة وتحليل، نور مهدي السّاعدي: ٨٣.

١٨- العين: «آخر».

١٩- ينظر: تهذيب اللغة «آخر».

٢٠- الفروق اللغوية: ٥.

٢١- الصّحاح «آخر».

٢٢- تاج العروس «آخر».

٢٣- المصدر نفسه «وعد».

٢٤- الألفاظ الكتابية، الهمذاني:٥٨.

٢٥- كتاب الألفاظ «الكتابة والتعبير»، ابن مرزبان الباحث: ١/ ١٩٠.

٢٦- إكمال الأعلام بتثليث الكلام، محمّد بن عبد الله بن مالك الطّائي: ١/ ٢١٩.

٢٧- المصدر نفسه١/ ٢٣٠.

٢٨-إكمال الأعلام بتثليث الكلام: ١/ ٢٨١.

٢٩- المصدر نفسه: ٢/ ٣٠٢.

٣٠- جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ٥٧٣.

٣١- الكشاف: ٢/ ٦٩٨.

٣٢- ينظر: المحرر الوجيز:٣/ ٤٨٩.

٣٣- معالم التنزيل: ٣/ ١٦٦.

٣٤- ينظر:التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ٢١/ ٤١٦، و: لباب التأويل:٣/ ١٤٩، و: أنوار التنزيل: ٣/ ٢٦٩.

٣٥- بحر العلوم: ٢/ ٣٣٢.

٣٦- التحرير والتنوير:١٥/ ٢٢٩.

٣٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ١٦٢.

٣٨- التفسير الكبير: ٢١/ ٤١٦ ، وينظر: الجواهر الحسان: ٢/ ٥٠١.

٣٩- أنوار التنزيل: ٣/ ٢٦٩ ، وبحر العلوم:٢/ ٣٣٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٤٥٦.

٤٠- لسانيات النّص، محمّد خطابي: ٥.

٤١- الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٦٦.

٤٢- لسانيات النّص:١٢٤.

٤٣- ينظر: الاتساق في نهج البلاغة دراسة في ضوء لسانيات النّص، رسالة ماجستير، كلية التربية «ابن رشد»/ جامعة بغداد، ٢٠١٣أرائدة كاظم: ٤٧.

٤٤- علم لغة النّص،د. عزة شبل: ١٠٧.

٤٥- نظم الدرر: ١١/ ٥٢٩.

٤٦- الكشاف: ٢/ ٦٩٨.

٤٧- الكشاف: ٢/ ٦٩٨، و: أنوار التنزيل:٣/ ٢٦٩.

٤٨- التفسير الكبير: ٢١/ ٤١٦، وينظر: الصّحاح» لف» ، ولسان العرب «لف».

٤٩- بحر العلوم: ٢/ ٣٣٢.

٥٠- لسانيات النّص: ٢٥.

٥١- ينظر: علم اللغة النّصي: ٢٥٨.

٥٢- أصول تحليل الخطاب: ٤٣٣.

٥٣- الكتاب: ١/ ٤٣٧.

٥٤- الكشاف: ٢/ ٦٩٨.

٥٥- المعجم الوافي في أدوت النّحو العربي، د. علي توفيق ويوسف الزّغبي: ٣٥، وينظر: مغني اللبيب: ٢/ ٤٨.

٥٦- في علم النّحو، د. أمين السّيد:٢/ ٢٩٢.

٥٧- ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٢.

٥٨- ينظر: الجنى الداني: ٣٧٤.

٥٩- الجنى الداني: ٣٧٤، و: ينظر : المقتضب: ٣/ ١٧٤، وآمالي الشّجري: ١/ ٣٣٤، وشرح المفصل: ١/ ٩٤.

٦٠- ينظر: الجنى الداني: ٣٧٤.

٦١- ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٤.

٦٢- المصدر نفسه: ٣٧٤.

٦٣- الكتاب: ٤/ ٢٣٢.

٦٤- حروف المعاني، الزّجاجي: ٦٣.

٦٥- المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي: ٣٥.

٦٦- المرجع نفسه: ٣٥.

٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ٣٧١.

٦٨- بحر العلوم:٢/ ٣٠٧.

٦٩- العين: «تبر».

٧٠- الصّحاح: «تبر».

٧١- ينظر: تاج العروس: «تبر».

٧٢- تفسير الميزان: ١٣/ ١١٧.

٧٣- لفظة «عباد» في القرآن الكريم لها دلالة خاصة، هي الإشارة إلى عباد الله الطّائعين المخلصين

له العبادة؛ لذا نسبهم إليه تعالى في جميع القرآن ، بلفظ « يا عبادي ، وعبادك ، وعبادنا ، وعباده ، وعبادي ، وعباد الرّحمن »، فهذا الجمع يساق في مضمار الترفيع ، والدلالة على الطّاعة . تفسير الثعالبي:١/ ٢٨٢.

وقد ذكرت لفظة «عباد» في القرآن الكريم في ستة وتسعين موردًا وقد وظفت فيها لوصف أولياء الله الصّالحين وخلقه المنتجبين كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾«ص:٤٥» ووصفهم بالمكرمين في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾«الانبياء:٢٦»، وبيَّن بأنهم الذين سبقت لهم الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾«الصّافات:١٧١» بل أضافهم اليه بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ «الزّخرف:١٩» وغير ذلك من الأوصاف الجليلة التي ترفع من شأنهم وتعلوا درجاتهم، فيكون لفظ «العباد» في القرآن الكريم لفظ خاص بالدلالة على الأولياء والصّالحين من البشر.

٧٤- بحث مخطوط.

٧٥- يوم الخلاص في ظل القائم المهدي «عليه السّلام»، كامل سليمان: ٥٠٧.

٧٦- المرجع نفسه: ٥٠٨.

٧٧- المرجع نفسه: ٥٠٨.

٧٨- متى ١٣ : ٣٦ـــــ ٣٩، نقلًا عن أنوار آخر الزّمان، د. محمّد سامح: ٧٩٧.

٧٩- مراثي أرميا ١١ :٤-١٣، نقلًا عن أنوار آخر الزّمان: ٨٠١.

٨٠- التاج الجامع للأصول: ٥/ ٣٥٦

٨١- الكشف والبيان: ٦/ ١٤٠.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الكتب المقدسة

٢. د. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، كتب عربية، ط:١، د.ت.

٣. أبو محمّد بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مط: دار السّعادة- مصر، ط: ٣، ١٩٥٨ م.

٤. رائدة كاظم، الاتساق في نهج البلاغة دراسة في ضوء لسانيات النّصّ، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد- جامعة بغداد-٢٠١٣م.

٥. ابن السّكّيت (ت٢٤٤هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق: محمّد مرعب، مط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١ ،٢٠٠٢ م.

٦. د. محمّد الشّاوش،أصول تحليل الخطاب في النّظرية النّحوية العربية «تأسيس نحو النّص»، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط:١، ٢٠٠١ .

٧. ابن القوطية (ت٣٦٧هـ) ، الأفعال: تحقيق: علي فودة ، إشراف وتوجيه السّيد علي راتب ، مطبعة مصر، ط:١، ١٩٥٢م .

٨. محمّد بن عبد الله بن مالك (ت٦٧٢هـ)، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، تحقيق: سعد بن أحمد الغامدي، مط: المدني – جدة، السّعودية، ط: ١٩٨٤،١م.

٩. عبد الرّحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني (ت٣٢٠هـ)، الألفاظ الكتابية، تحقيق:أميل بديع يعقوب، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩١ م.

١٠. الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، الأمثل في تفسير كلام الله المنزل، مؤسسة

الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط: ١، ١٤٢٨ هـ.

١١. القاضي عبد الله بن ناصر بن عمر بن محمّد البيضاوي (ت٧٩١ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ «تفسير البيضاوي» تحقيق: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، ط: ١٤١٨١هـ.

١٢. أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد السّمرقندي(ت٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: الشّيخ عليّ محمّد معوّض وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط:١٩٩٣،١م.

١٣. أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد السّمرقندي(ت٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: الشّيخ عليّ محمّد معوّض وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط:١٩٩٣،١م.

١٤. أبي الفضل محمّد مرتضى الزّبيديّ (١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: الدكتور عليّ مشيري، مط: دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٤ م.

١٥. محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد المعروف بـ «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٦. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، ط:١، ١٤٣٤هـ .

١٧. محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،

بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ.

١٨. الأمام محمّد فخر الدّين الرّازي (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مط: دار الفكر، ط: ١، ١٩٨١ م .

١٩. أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تقريب المقرب، تحقيق: د.عفيف عبد الرّحمن، دار المسيرة، بيروت، دار الميسرة / بيروت، ط:١، ١٤٠٢ هـ .

٢٠. أبو منصور محمّد بن احمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمّد عوض مرعب و خران، مط: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: ١، ١٩٩٠ م .

٢١. أبو جعفر جرير الطّبري (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، مط: الأميرية الكبرى، بولاق –مصر ، ١٣٢٣هـ .

٢٢. د. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز القرآني، دار المكتبي، سوريا دمشق، ط:١ (د.ت).

٢٣. الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، الجَنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، ود.محمّد نديم فاضل، المكتبة العربية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط:١/ ١٤١٣هـ.

٢٤. عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٦ه)،الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشّيخ محمّد علي معوض، والشّيخ عادل احمد عبد الموجود، النّاشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: ١/ ١٤١٨ه.

٢٥. عبد الرّحمن بن اسحاق الزّجاجي (ت٣٤٠هـ)،حروف المعاني، تحقيق: د.

علي توفيق الحمد، مؤسسة الرّسالة دار الأمل، (د.ط).
٢٦. إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ)،الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: احمد عبد الغفار عطا، مط: دار العلم لملايين، ط: ١٩٥٦، ١م.
٢٧. د. عزّة شبل محمّد،علم لغة النّص (النّظرية والتطبيق)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:٢، ٢٠٠٩.
٢٨. د.صبحي إبراهيم الفقي،علم اللغة النّصّي بين النّظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السّور المكية)، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
٢٩. عبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ)، العُمُد كتابٌ في التصريف، تحقيق: د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط:٣، ١٩٩٥م.
٣٠. أبو عبد الرّحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)،العين (معجم لغوي)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السّامرائي، مط: مؤسسة دار الهجرة ، ط: ٢٠٠١، ٢ م.
٣١. نور الدّين بن نعمة الله الجزائري (ت ١١٥٨هـ) ،فروق اللغات في التمييز بين معاني الكلمات، تحقيق: د. محمّد رضوان، مط: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية.
٣٢. أبو هلال العسكري(ت بعد ٤٠٠هـ)،الفروق اللغوية، مكتبة القدس، ١٣٥٣هـ.
٣٣. أبو محمّد بن سعيد بن المبارك الدهان (ت ٥٦٩ هـ)، الفصول في العربية، تحقيق: د. فائز فارس، دار الأمل. مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط:١، ١٤٠٩ هـ .
٣٤. الفيروز آبادي،القاموس المحيط، مط: دار الفكر – بيروت .

٣٥. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه)(ت١٨٠هـ)،الكتاب، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مط: دار الجيل – بيروت، ط: ١.

٣٦. الإمام جار الله محمود بن عمر الزّمخشري(ت٥٣٨هـ)،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ علي محمّد معوض، ود. فتحي عبد الرّحمن مكتبة العبيكان، الرّياض، ط:١، ١٩٩٨م.

٣٧. علي بن محمّد بن إبراهيم الشّهير بالخازن (ت٧٢٥هـ)،لباب التأويل في معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير الخازن)، تحقيق: عبد السّلام محمّد علي شاهين، مط: دار الكتب العلمية –بيروت، ط: ١، ٢٠٠٤ م.

٣٨. العلامة محمّد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)،لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، مط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥ م.

٣٩. ابن مرزبان الباحث، الألفاظ (الكتابة والتعبير)، تحقيق: د. حامد صادق ، النّاشر: دار البشير، عمان – الأردن، ١٩٩١م.

٤٠. د. محمّد خطابي،لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط:١، ١٩٩١، و ط: ٢ ، ٢٠٠٦م.

١٤. د. أحمد مداس، لسانيات النّص نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعري، عالم الكتب، إربد الأردن، ط:٢، ١٤٣٠هـ .

٤٢. الحسين بن أحمد بن خالويه،ليس في كلام العرب، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، مط: دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٢ ،١٣٩٩ه.

٤٣. القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، مط: دار الكتب العلمية-بيروت ، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٤٤. الصّاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)،المحيط في اللغة، تحقيق الشّيخ محمّد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.

٤٥. جلال الدّين السّيوطي(ت٩١١هـ)،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، مط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١٩٩٨،١ م.

٤٦. محمّد بن علي الفيومي(ت٧٧٠هـ)،المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرافعي، مط: دار الهجرة، ط: ١٤٠٥،١ هـ.

٤٧. أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة الدار الإسلامية، ط: ١٩٩٠،١ م.

٤٨. د. على توفيق الحمد،المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي، ويوسف جميل الزّغبي، دار الأمل، ط:٢، ١٤١٤هـ .

٤٩. د. إبراهيم مصطفى ود. محمّد علي النّجار وآخران،المعجم الوسيط، ط: ٤، د.ت.

٥٠. جمال الدّين عبد الله بن هشام الأنصاريّ(ت٧٦١هـ)،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية-بيروت، ١٤٢٧هـ .

٥١. أبو الفتح عثمان بن جنّي(ت٣٩٢ هـ)،المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى،عبد الله أمين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٢٧٣ هـ .

٥٢. العلّامة السّيد محمّد حسين الطّباطبائي،الميزان في تفسير القرآن، صحّحه وأشرف على طباعته الشّيخ الأعلمي، مؤسسة الأعلمي –بيروت، ط: ١،١٩٩٧ م .

٥٣. إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت٨٨٥هـ)،نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٥٤. نور مهدي كاظم السّاعدي، وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السّماوية دراسة وتحليل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط:١، ١٤٣٤هـ .